

# ومع ذلك..

## هلل العصفور في السماء

قصة بقلم إدريس الصغير

خلف فيهما شللا وخدرا . حاولت ان اتصور مقدار الناس الذين ولجوا قبلي هذا المكان . لا بد ان يكون العدد اكبر من تصوراتي .

وامتلأت الغرفة بالصياح واصوات الاحتجاج والتحدي .

— توزع المناشير ضد فرنسا يا كلب وانت مجرد عامل بسيط .

— تنادي بمودة الملك من المنفى ولست سوى فلاح خماس .

— نطالبين بالاستقلال ولست سوى عاطلة جاهلة .  
— وانت لم تولد سوى أمس وتنادي اليوم بالعدالة الاجتماعية والمساواة .

— اما انتم فلستم سوى جماعة تحاول الاخلال بالنظام والامن .

تضايقت كثيرا من هذه الجلسة المتعبة ، بينما كان هو يؤدي عمله في ميكانيكية روتينية .

كان يتمطى بين الفينة والاخرى في حنين ظاهر الى فراشه المحشو بالصوف . كما انه كان يدخن بتلذذ ، بينما لم اكن امتص من دفينتي سوى الغضب والتحدي والحقد .

هبّ عليّ من النافذة نسيم الوطن الحبيب . كان غليلا . ملأت منه رئتي ما شاء الله لي أن أملا . توقفت الموظف عن الكتابة . نظر اليّ شزرا يحاول استفزازي . لتسجل اذن هذه الجريمة في ملفتي . يمكنكم كذلك اضافة مسألة اللهج بالوطن في السر وفي العلن . سجلي ايتها الآلة الكاتبة . سجلي عني وعنهم وعنا بمداد الفخر .

النافذة مشرعة المصراعين . الشمس ونسيم الوطن .  
— لماذا ؟ متى ؟ كيف ؟ اسكت . انطق . قف .  
انبطح . اجلس . اخلع .

لطفقات الآلة الكاتبة رجع في قلبي . وشمس الوطن الحبيب تغازلني من النافذة المشرعة المصراعين . خمنت جيدا . هذا الرجوع ليس خوفا ، فانا منذ وعيت لم أعرف الخوف يوما . لانني لا املك شيئا بتاتا أخاف اضاعته او فقده . كانت الآلة الكاتبة تسير بالورقة الى أقصى اليسار ، لكن الموظف يعيدها بدفعة من يده الى أقصى اليمين . ثم لا تلبث الورقة أن تعاود مسيرتها في تحدّ واصرار . وجدت لذة عظيمة في التفكير في هذه الآلة الكاتبة . انها ترسم مصيري . لكنها ما تفتأ تتحدى الموظف في ثقة . حوّلت عينيّ نحو الموظف ذي الشارب الكثّ والطلعة الجافة الصارمة . كان في معركة حقيقية ، لكن الآلة لم تكن لتجهد نفسها . عجيب هذا التزاوج عند آلة حديدية . السكون والحركة . الاستسلام والتحدي . المطاوعة والاصرار . قلت في نفسي . لا يملك هذا الموظف في الاخير الا أن يسلم بأمر لا بد هو واقع . فعند آخر كلمة يخطئها لا بد أن تكون الآلة قد اخذت الورقة الى أقصى اليسار .

من النافذة كانت شمس الوطن الحبيب تغازلني . شمس الضحى . هذه الشمس التي تسفع الآن حتما جباه الكثيرين من اشقياء العالم في الحقول والضيعات والاوراش . كان الكرسي الذي اقتعده رديء الصنع مما سبب لي آلاما حادة في ظهري ومؤخرتي .

انا والموظف .

يفصلنا عن بعضنا مكتب خشبي قديم مورست على سطحه وقوائمه ترميمات كثيرة . فكرت في انهم يتعمدون الاحتفاظ بهذا الجو زيادة في الرهبة . كان جو الغرفة موحشا . وعلى حافة النافذة حطّ عصفور صغير ملوّث الريش . غرد بصوته الرخيم ثم طار محلّقا في الفضاء الفسيح . انا ادخن والآلة ترسم مصيري . كنت بين الفينة والاخرى ادلك معصميّ تخفيفا لآلم القيد الذي

عليّ أن أمنع في هذا الوضع جيدا . خارج الغرفة كان الناس يبيعون سواعدهم مقابل قطع سكر صغيرة مربعة بيضاء في الاسواق والساحات العمومية واديرة الرهبان .

« افتربوا يا عباد الله واكشفوا عن سواعدهم . مقابل ساعد قوي يمكنكم أن تربحوا قطع سكر . سكر حقيقي . انتهبوا هذه الفرصة الذهبية يا عباد الله . نوصيكم عباد الله بالعمل ، فالعمل أثنى كنز . تشبهوا بالحمير في حسن العمل والصبر على تحمل المشاق ، واحذروا عباد الله الطمع في مباحج الدنيا الفانية وأموالها . نوصيكم بالقناعة والفقر . نوصيكم بالفقر . الفقر . الفقر . وقد سعد في الدنيا والآخرة من ولد فقيرا ومات فقيرا » .

أنا في الغرفة الرهيبة الموحشة . أنا والموظف . كانت الآلة الكاتبة ترسم مصيري ما تزال . ولما كانوا قد وضعوا بيني وبين عدوي حواجز كثيرة شائكة فقد قررت أن أجتازها واحدا واحدا حتى أجد نفسي مع العدو وجها لوجه .

الدار البيضاء

خارج الغرفة كان الناس يتكدسون كالسردين في الحافلات . يعملون . يعرفون . يتعبون . ثم يعودون في المساء ليلتصق بعضهم بأجساد بعض في غرف ضيقة نتنة . كانوا يطعمون فئات الخبز ويشربون اقداح الشاي الاسود . يبيعون اجسادهم مقابل قطعة سكر .

حطّ العصفور الصغير الملون الريش مرة ثانية على حافة النافذة . ارتحت كثيرا لسماعي تفريده الرخيم ، لكن الموظف تضايق كثيرا فارتعش شاربه الكث وتقوس حاجباه ، ثم قام في عصبية متجها صوب النافذة النسي لم يكذب بلغها حتى كان الطائر يحلق بعيدا في سماء الوطن .

اشعل الموظف سيجارة ولعن كل العصافير وانفراشات والحساسين ، ثم قال وعصبيته لم تفارقه بعد بأن الغربان والعقبان وطائر العنقاء لا بد أن تملأ السماء . ثم ضرب سطح المكتب بقبضة يده بقوة . لا بد . تكررت الضربات ولازمة « لا بد » مرات كثيرة بطريقة هستيرية رعاء . كان الزبد يتطاير من فم الموظف وقد جحظت عيناه .

لازمي هدوئي رغم الكرسي الذي أقتعده . كان

دار الآداب تقدم

# الثلج يحترق

رواية بقلم

ريجيس دوبريه

في هذه الرواية ، يقفز مؤلف « ثورة في الثورة » الى الصف الاول من الروائيين الفرنسيين المعاصرين ، فينال أخيرا « جائزة فيينا » المشهورة تقديرا لموهبته وفنه .

و « الثلج يحترق » قصة رجل وامرأة ، بوريس وايميليا ، يبحث أحدهما عن الآخر ، فيلنقي به ثم يضيعه ، ثم يلنقي به ثانية ، ويحنّ اليه ويفقده ، عبر أوروبا وأميركا . في النضال والعذاب والموت والقتل . من أجل حب البشر .

اختارت ايميليا ، ابنة جبال النمسا ، أن تقاتل من

أجل العدالة . وتلتقي في هافانا بشاب فرنسي ، بوريس ، نجا من ثورة أخرى ، فتسخره ، ولكنها تحب زعيما ثوريا ، هو كارلوس ، وتذهب فتعيش معه في « لا باز » ، في الخفاء والفرح ، الى اليوم الذي تغتاله الشرطة البوليفية . وتفقد ايميليا كل شيء : الرجل الذي تحبه ، والطفل الذي تنتظره ، والمعركة التي تخوضها ، ولكنها لا تترك الدرب الذي سلكته ، فمن كوبا الى التشيلي ، ومن بوليفيا الى انكلترا ، ومن باريس الى هامبورغ ، تضطلع بقدرها حتى النهاية . قدر المرأة المناضلة .

ان « التاريخ » يسكن قصة هؤلاء الابطال . فهو لحمهم ، وعذابهم ، وألمهم . ان سعادة بوريس وايميليا مستحيلة ، ولكن أناسا آخرين سيكونون يوما ، بفضلها ، أقل شقاء .

ان هذه الرواية أغنية حب في مأساة عصرنا . تؤكد ارادة للحياة وللنضال .

تصدر في الشهر القادم